

الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر عند برتراند راسل.

Individualism in contemporary philosophical thought (Bertrand Russell)

قدور نورة .

المركز الجامعي نور البشير؛ البيض (الجزائر).

البريد الإلكتروني: Leonnourakaddour62@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 22/05/18؛ تاريخ القبول: 22/05/24؛ تاريخ النشر: 22/06/01

الملخص:

الفرد هو الكائن الوحيد الذي يمتلك قدرات وامكانيات كاملة فيه، وتعني الفردية السمات الخاصة التي تميز فرداً عن غيره ولا يمكن أن تتكرر عند الآخرين، ولقد أعلنت الفلسفة تمردها على الفلسفات الموضوعية لتبين حقيقة الوجود الإنساني وأهميته وأن الفلسفة تتمحور منه وحوله، وكان برتراند راسل من بين الفلاسفة الذين تناولوا موضوع الفردية من خلال دعوته إلى أن التقدم سواء الفني أو الخلقى أو العلمي يعتمد على الفرد الذي سيكون عاملاً حاسماً في الانتقال من البربرية إلى المدنية، ضرورة تعزيز الفردية من خلال التفكير الحر كغاية سامية حققت مكاسب مع حرية الفرد منذ القدم إلى يومنا هذا.

الكلمات المفتاحية: الفرد؛ الفردانية؛ المبادرة الفردية؛ التفرد؛ الأخلاق الفردية.

Abstract:

The individual is the only being who possesses capabilities and potentials latent in him, and individuality means the special features that distinguish an individual from others and cannot be repeated for others. Philosophy has declared its rebellion against objective philosophies to announce the truth of human existence and its importance and that philosophy centers on it and around it, and it was (Bertrand Russell) Among the philosophers who addressed the subject of individuality by advocating that progress, whether artistic, moral, or scientific, depends on the individual, who will be a decisive factor in the transition from barbarism to civilization, and the need to promote individualism through free thinking as a lofty end that has made gains with freedom of the individual from ancient times to present day.

Key words: individual; individuality; individual initiative; Exclusivity; individual ethics.

مقدمة:

لقد ظل التفكير الفلسفي لعهود طويلة يبحث في المطلق والوحدة والحق الأعلى والحقيقة الكامنة خلف الأشياء، فاعتبر حيناً التاريخ هو المطلق، وحيناً آخر اعتبر الطبيعة هي الحقيقة الكبرى، وفي أثناء هذه الانشغالات نسي الإنسان الذي جعل منه جزءاً من الطبيعة وهو خاضع لقوانينها، ومع الهزات الكبرى أوقف الإنسان من سباته العميق وسرعان ما أدرك أنه ذات وليس مجرد شيء يخضع لقوانين الطبيعة الحتمية، وأنه مع ظهور النزعة الإنسانية بات الاهتمام بالإنسان والنظر إليه كفرد له ذات متفردة بخلاف الفلسفات العقلانية التي اتجهت لدراسة الكل متجاهلة الفرد الذي أدخلته في سلسلة لا متناهية من الموجودات، فمع الفكر الحديث والمعاصر بدأت الفلسفة تنمرد على ذاتها الموضوعية باحثاً في حياة الفرد وهكذا كان يرى نشبه في سقراط وأفلاطون علامات انحطاط الحضارة، "وأعاب على الفلسفة تجريدها للواقع الإنساني وانفصالها عنه" (التريكبي، دت: 26، 28)،

وبهذا أعلن نهاية الفلسفة النسقية ويقرر التفلسف الدائم الذي يتجاوز الأنساق الكبرى .

وهكذا بدأت ثورة جديدة مع فلسفة نتشه والفلسفة الوجودية مع كركيفارد والبراجماتية من وليم جيمس، وجون ديوي...، بدأت فلسفة رافضة للكلي والمطلق لتعيد الاعتبار للحياة والذات وللفردانية والتعدد بعدما استغرقنا في الموضوع والموضوعية بكل تياراتها، فمع القرن العشرين ظهرت أربع اتجاهات فلسفية تقر بأهمية الفرد وعظمته وهي الفلسفة الوجودية والشخصانية والبراجماتية وفلسفة الحياة، ومنه كيف تجلت الفردانية كفكر فلسفي؟ وكيف تجلت الفردانية عند برتراند راسل؟ وكيف كانت الأخلاق الفردية بمقابل الأخلاق الجماعية؟

الفردانية من مصطلح إلى مفهوم:

نجد صعوبة في تحديد معنى شامل للفردانية، كما هو الحال في جميع المفاهيم الحديثة والمعاصرة.

أ - **الفردانية لغة:** الفرد تعني الوتر، والجمع أفراد وفردى، والفرد نصف الزوج لا نظيره، وتأتي كلمة تفرد بمعنى انعزال وتفرد عن غيره (ابن منظور، دت: 3373 / 3375)، فمفردة الفرد (*Individual*) مشتقة من الجذر اللاتيني (*Individum*) بمعنى الشيء الذي لا ينقسم فهو جزء أحادي بمعنى أنه يمكن أن يحقق وجوده دون الحاجة للآخرين، والفرد هو المتفرد المتميز عن القطيع أو الجماعة، نقول أفرد زيد بالأمر تفرد به، تفرد بالأمر أي كان فرداً لا مثيل له (البيستاني، 1990: 461 / 462).

أما اصطلاحاً (*Individual*): هو إنسان أحادي متفرد، بمعنى هو الكلية التي لا تقبل التجزئة ولا يمكن تجزئتها إلى مكونات أصغر، فكلمة الفرد تعني اشتقاقاً الشيء الذي لا ينقسم مادياً، والأفراد لا توجد إلا في الدرجات العليا الثلاث للوجود وهي العضوية والحياة والتفكير، حيث تمثل الشروط العامة للفردية أو الحدود التي لا يمكن أن يقوم خارجها أي وجود فردي (كامل، 1991: 6/5).

فالفرد في علم النفس مرادف للشخص الطبيعي من ما هو متميز عن الآخرين بهويته ووحدته، أو من جهة ما هو ذو صفات خاصة مختلفة عن الصفات المشتركة بينه وبين أبناء جنسه والفرد في علم الاجتماع هو وحدة من الوحدات التي يتألف منها المجتمع كالمواطن في الدولة (صليبا، 1982: 138/139).

فالفردانية بالمعنى العام ما يتميز به الفرد عن آخر من الصفات الجسمية والمعنوية، وهي مجموع الصفات التي يتميز بها الفرد عن أفراد نوعه أو مجتمعه، وهي أيضاً التوجه الذي يشدد على فكرة استقلالية واعتماد الفرد على نفسه ف اتخاذ قراراته وإن عارضت هذه الأهداف المؤثرات الخارجية (الدولة أو المؤسسات والمجتمع) (صليبا، 1982: 140)، في حين تصف موسوعة لالاند الفرد بأنه: الكائن الذي يعيش بذاته ويتسم بمثل هذا التمركز وهذا التناسق الوظيفي بحيث لا يمكن تقسيمه دون تحطيمه (لالاند، دت: 675).

ب - **التفرد (*Individuation*):** مبدأ التفرد اصطلاحاً انتقل من ابن سينا إلى فلاسفة العصور الوسطى عبر الترجمات اللاتينية، وهو القول بأن لكل كائن وجوداً جزئياً، يتفرد به الزمان والمكان أو يتميز به عن غيره، من أفراد النوع (صليبا، 1982: 138/139).

ويرى محي الدين ابن العربي أن التفرد لدى الإنسان من حيث إن كل فرد لا يمكن أن تتكرر صفاته في الآخرين (مصر، 1974: 151)، والتفرد عملية أساسية عند يونغ وهو الإمكانية الفطرية الموجودة في كل فرد والتي بها تتمكن النفس الفردية من تحقيق تمام نموها وارتقائها (وهبة، 1979: 121)، ودرب التفرد يعني الميل لأن يصبح الكائن فردياً بحق، وإنما نعني بالفردية شكل وحدانيتنا الأكثر حميمية، وحدانيتنا النهائية والمحسوسة، إذن ترجمة كلمة التفرد: بتحقيق الفرد لذاته (يونغ، 1997: 89)، وهناك فرق بين الفرد والفردية حيث أن الفرد هو جزء أحادي وهو حامل للفردية أما الفردية فهي صفات خاصة بالفرد لا تتكرر لدى غيره، فالفردية تظهر من خلال ممارسة الحرية وحين يدرك قواه الكامنة ويعمل على تتميتها وأن الفرد يدرك أن نفسه هي مركز يدور حوله كل ما يحيط به الفرد يعني الاختلاف عن الآخرين، ويتضمن التميز والخصوصية، وهذه هي البداية التي تنطلق منها.

ج - الفردانية كمذهب فلسفي (Individualism): تعد مذهب

يرى أن الفرد أساس كل حقيقة وجودية، أو مذهب يفسر الظواهر الاجتماعية والتاريخية بالفاعلية الفردية، أنه مذهب يرى أن غاية المجتمع هي رعاية مصلحة الفرد والسماح له بتدبير شؤون نفسه.

مفهوم الفردانية في الفكر الفلسفي:

لقد مرت النزعة الفردانية بعدة مراحل وهي ملازمة للوجود الإنساني حيث تظهر بجلاء في بعض الأحيان وتختفي في أحيان أخرى، وقد أخذت الفردانية اتجاهات وتيارات متعددة.

أ - الفردية في الفلسفة اليونانية: ركز الاتجاه على دراسة الطبيعة وقوانينها الكامنة والمحركة لها ويعتبر أول اتجاه فلسفي منذ بداية الفلسفة وتجاهل الإنسان، واهتمت بالميتافيزيقا، والبحث في الكليات والمطلق والمحرك الأول...، ويعتبر السفوسطائيون أول من قدموا فلسفة ذاتية، تعيد الاعتبار للذات الإنسانية وأنه المبدأ الأول بالتالي بأسبقيتهم بإقرار الذات المفكرة عن غيرهم (التركي، د.ت: 24)، "فوجهوا النظر للإنسان وإلى معرفته ووجوده، بعد كان البحث متجها إلى الأساطير في المرحلة الأولى ثم للطبيعة في مرحلة ثانية" (المعطي، 1997: 37)، فجعل بروتاغوراس الإنسان مقياس الأشياء جميعها، الموجودة وغير الموجودة، فلا وجود حقيقة موضوعية في الفضيلة، ومنه نسبية الحقيقة، فالاختلاف الأفراد في الحكم يعود للأساس الذاتي الخاص بالفرد (راسل1، ديسمبر 1983: 73)، فهم جعلوا الإنسان والذات في مقابل المجتمع والطبيعة، ونسبية القيم والعادات والأخلاق، فهو معيار التمييز بين الحق والباطل، فيعود لهم الفضل الكبير في توجيه النظر إلى الإنسان والمعرفة بعدما كان النظر متجهاً إلى الطبيعة والعالم الخارجي (أبو الريان، 1985: 111)، سعى السفوسطائيون لتهيئة الفرد والاهتمام به يوجهوا اهتمامهم بالديمقراطية بعدما كان الإنسان مغموراً في ظل النظام الجماعي فظهرت الديمقراطية لأول مرة بات تطبيقها بشكل عملي (الريان، 1985: 114 / 115)، وهذا ما جعل معارضة سقراط لهم بأن الحاكم لا يتمتع بأي معرفة نظرية مما يجعل الأفراد متساوون في القيمة دون تمييز بين جاهل وعالم، لذا نجد أفلاطون يقر بالتفرد والتميز بين الأفراد على أساس الكفاءة وأسس الفردانية السياسية: "فإذا كان

الفلاسفة هم أولئك الذين يمكنهم أن يدركوا ما هو أزلي ثابت، على حين أن من يعجزون عن ذلك ويضلون طريقهم وسط الكثرة والتغيير لا يستحقون هذا الاسم، فأيهما ينبغي أن نعهد إليه الإشراف على الدولة" (أفلاطون، دت: 206)، ففي بقية محاورة الجمهورية يؤكد أفلاطون على لسان سقراط أن الفلاسفة لا يمكن أن يتعلموا وأن الأفراد لا يمكن أن يتميزوا وسط الجمهور، فهو يربي الصغار والكبار والنساء والرجال على أكمل وجه يراه.

ويمكن أن نؤكد في الخير أن الفلاسفة اليونان باستثناء السفستائيين حتى أرسطو لم ينادوا بالفردية، بل الفرد هو جزء وعضو من المجتمع، وإن كان سقراط أول ضحية رفض الديمقراطية الدهمائية رغم هجومه على السفوسطائية مؤكدا النزعة الذاتية، كأول ضحية يقتله الجمهور والديمقراطية التي يسرها الجاهلون، غير أن أفلاطون وتلميذه أرسطو كرسا النزعة الشمولية والعبودية، في حين أن أفلاطون أسس للحكم الفردي الارستقراطي (الحاكم الفيلسوف).

ب - الفردية في الفكر الروماني: بدأت الفردية تلوح في روما مع تأسيس الاسكندر لإمبراطوريته، ولكن مع ضياع الحريات السياسية في مواجهة ديكتاتورية الحاكم كان لابد للمذاهب أن تنادي بحرية الفرد والإيمان بقيمته، ومع العصر الهليني ظهرت فكرة الإنسان له قيمة نابعة من صفته كفرد إنساني وأنه ينتمي للمدينة العالمية، والإقرار بأهميته بالنسبة لأي مجموعة (العدي، 1969: 116).

ج - الفردية في العصور الوسطى: قبل تناول فلاسفة العصر الوسيط من آباء الكنيسة يمكننا التأكيد على الأديان جميعها

أكدت المسؤولية الفردية والعلاقة الروحية بين الفرد وخالقه، مع ظهور الأديان بدأت الفردية بالتفتح وأصبح الفرد مسؤولاً عن أفعاله أمام خالقه بدلاً من غيره، فالفردية ظهرت في الأديان السماوية من خلال الثواب والعقاب مما يؤكد حرিতে الفردية، وإن كانت هذه المسؤولية الفردية قد اختفت مع اليهودية حين اعتبروا أنفسهم شعب الله المختار، أما مع المسيحية بات الإعلاء من شأن الفرد بمقابل الفكر الروماني الذي جعل الفرد خاضعاً للدولة للسلطة العامة ويضحي بمصالحه من أجل العام.

يقر أوغسطين بأن تعاليم الدولة من وجهة نظر متعالية على علاقة الإنسان بالله من وجهة نظر مسيحية، رغم أن المسيحية أقرت الفردية إلا أن آباء الكنيسة جعلوا أنفسهم أوصياء على الأفراد، وإن كانت المرحلة الأولى شهدت تسلط آباء الكنيسة وإلغاء الحرية الفردية واستغلال الأفراد (العدوي، 1969: 117)، ومع عصر الإصلاح الديني ظهرت قوى جديدة ترفض سيطرة الكنيسة مع مارتن لوثر، وكالفن.

مع الإنسان العربي نجد أنه كان مختفياً ضمن الجماعة أو ما يسمى القبيلة أو العشيرة، ولكن مع الدين الجديد والانقلاب الجذري الذي أحدثه الإسلام بات الحديث عن الفرد وما تكسبه نفسه، فعوض أن يبقى الفرد يذوب في القبيلة، داخل اتصال أفقي، صار شخصاً يشعر بشخصيته في ذاتها، ويتصل عمومًا بكائن مطلق (الحبابي، دت: 23).

د - الفردية في عصر النهضة: لم تتجلى الفردانية بوضوح مع ظهور الأديان فمرت بحالة مد وجزر نتيجة هيمنة القوى الاجتماعية التي

منعت ظهور الفردانية حتى عصر النهضة حيث يرى جون جاك شوفالبيه أن: "انعتاق الفرد أو الفردية هي السمة الأساسية الأولى لعصر النهضة يأتي كرد فعل لفكر القرون الوسطى، ويتحرر الفرد من الانضباط الكاثوليكي الطويل، ويتطلع الفرد للتحرر في كل الميادين ونرى شغف الاكتشاف، وروح البحث الحر، وتمجيد الغرور الإنساني، يمتزج بإرادة القوة وتمجيد الجسد والفن بأشكاله الأكثر وثنية (شوفالبيه، 1985: 358/359).

فمع بداية عصر النهضة بدأ التمرد على النزعة الجماعية وأصبح تأكيد الفردية وهذا ما جسده معظم الأعمال الفنية، بعدما كان الإنسان بالعصر الوسيط مغمور وسط الطبيعة وكجزء صغير بعالم واسع، ليصبح الإنسان متمرداً عليها ويسعى بكل قواه للسيطرة على الطبيعة وأنه أعظم وأكبر مما هو حوله، "ففي عصر الإصلاح والنهضة انتهت الشجاعة من أجل الوجود كجزء على نحو ما عرفتھا العصور الوسطى، وبدأت التطورات التي جلبت معها مسألة شجاعة الوجود كذات المرء إلى مركز الصدارة...، فتجلت فردية جديدة طموحة، ...، رجال من نوعية ليوناردو دافنشي، جردانو برونو وجوته، شلنج...، فكانت شجاعتهم شجاعة من أجل الوجود كذات المرء وشجاعة للوجود كجزء معاً" (تيليش، 1987: 92-98)، فمع أنصار النزعة الإنسانية بعصر النهضة بدأت تتأكد كرامة الإنسان واستقلاله من كل القيود التي تتجاوز إرادته ووجوده، مما سمح بتجاي فكرة الأفراد الأكثر تميزاً وتفرداً، ولكن مع ذلك تجلى عدم الإفصاح عن النزعة الفردية ورفضها مع الهجليين والفاشيين، والرومانسيين المتأخرين والثيوقراطيين، فقد نُظر إلى النزعة الفردية

كإعلان جديد لخير الإنسانية وبداية تحول نحو الإنسانية والحرية والتقدم.

نقطة بداية الفردانية مع (ديكارت): تجلت الفردانية في ظهوره الأول في الفكر الفلسفي مع رنيه ديكارت، حيث كان الصراع محتملاً بين الفلسفة الفردية الإنسانية والفلسفات الموضوعية التي ألغت وجود الذات وركزت جُل اهتمامها بالطبيعة، والموضوع بدل الذات، فمقولة "أنا افكر أنا موجود" كانت بمثابة حجر الزاوية في فلسفة تقرر بالذات المفكرة وهي بمثابة ثورة فلسفية وجهت التفكير الفلسفي والابستمولوجي نحو الإنسان وعالمه الداخلي ومشاكله، يقول (هيغل): "إننا مع ديكارت ندخل إلى فلسفة مستقلة بالمعنى المحدد - معاً هنا - يمكننا القول بأننا في بيتنا" (التركي، دت: 24).

تصوير توماس هوبز للحياة الطبيعية أنها كانت سيئة وعنيفة وأشبه بحياة الغاب "القوي يأكل الضعيف" ولكن حاول الإنسان الخروج من هذه الفوضى بتأسيس العقد الاجتماعي: إذا انطلقنا من الفرد ستصير الحياة الاجتماعية بالضرورة موضححة في لغة الوعي والقوة(السلطة)، أولاً لا يمكن الانتقال من الفرد إلى الجماعة إلا بواسطة العقد وسيكون الأمر بعد ذلك أمر قوة لأن القوة هي الشيء الوحيد الذي يستطيع الأفراد تقديمه في العقد (دومون، 2006: 130).

أنصار المنفعة مع بنتام: يعتبركون الأكثر تعبيراً عن الفردانية الأخلاقية، من خلال تأكيدهم على المنفعة الذاتية الأخلاقية، وأن الخير هو اللذة وأن الشر هو الألم، ومن هنا فإن أفضل حالة يمكن بلوغها هي تلك التي يبلغ فيها تفوق اللذة على الألم أقصى مداها .

الفردانية قيم إنسانية مع كانط: فعلى هدي ديكارت تنمو
 الفردانية بعصر الأنوار فصارت أهم القيم الإنسانية، فتجلت بوضوح مع كانط في فلسفته الأخلاقية ليحل الصراع القائم بين أنصار الفرد وأنصار الجماعة مؤكداً الذاتية دون الإضرار بالآخرين، معتبراً كل الأحكام الخلقية ترفض إذا لم تتلائم مع الإرادات الخاصة، فالذات الفردية صانعة القانون العام، وأنه: "المبدأ الأعلى للأخلاق: أن تراعي في فعلك أن يكون مطابقاً لمسلمة تصلح في الوقت نفسه لأن تكون قانوناً عاماً، وكل مسلمة ليست كفاً تكون منافية للأخلاق" (كانط، 1965: 28) فهذا القانون الأخلاقي ليس موضوعاً من طرف الجماعة بل هو نابع من الذات، وبالتالي كانط يؤسس للأخلاق الفردية ويحاول الجمع بين الأخلاق الفردية وأخلاق الواجب وأن الفرد مشرعها لذاته ولغيره.

هـ - الفردانية مع (نتشه): يعتبر نتشه الممثل الأعلى للفردانية الحديثة والمعاصرة من خلال علاقة الفرد بالجمهور فما يميزه هو تأكيده لأهمية الفرد ووعيه وإرادته القوية التي تمثل إرادة الحياة، فخضوع الفرد للجمهور هو أكبر عدو لفرديته وحرية، فهو يدعو إلى ظهور الإنسان المتميز الذي يتحرر من أشكال العبودية، فالجمهور يدعو لقيم الجماعة المألوفة في حين نتشه يدعو للتمرد والثورة على القديم والجمهور: "أن الرجل الممتاز هو الذي يسد أذنيه عند سماع صوت القطيع، فهو يعلم في نفسه أنه صوت القطيع...، وصوت الوحدة هو نداء الحرية الذي يستصرخه للانطلاق" (ابراهيم، دت: 164).

و - الفردانية والليبرالية: ظهرت الليبرالية في بريطانيا وهولندا كرد فعل على الحروب الدينية واستمرت لمدة 130 سنة، كما برزت

الفردانية كتطبيق عملي لليبرالية في المجالين الاقتصادي والسياسي في بريطانيا فهما وجهان لعملة واحدة، فتأكدت ليبرالية الرأسمالين مع آدم سميث وبنتام وجيمس مل وجون ستوارت مل ودعوا إلى إطلاق حرية الفرد في كل المجالات حرية الملكية والاقتصاد والمعتقد الديني والسياسة...، مستعيرين ذلك من شعار الاقتصاديين "دعه يعمل دعه يمر"، فالنزعة الفردانية شكلت أساس مذهب بنتام الذي عمل على ازدهار الفردية ونموها، حيث رأى أن اشباع مصالح الفرد هي الوسيلة الوحيدة لتوفير أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الأفراد(عبدالله، 1987: 76)، وترسخت الفردانية في العرف الليبرالي من خلال كتاب "الحرية" لجون ستوارت مل، الذي أكد فيه على احترام الحريات وحذر من خطورة المجتمع على حرية الفرد، وقد استخدم توماس هيل جرين مصطلح الفردانية بشكل ايجابي ودافع عن الفكر الفردي.

أما في فرنسا فلقد استخدمت الثيوقراطية مصطلح الفردانية 1820، ولكن نجد تمجيد للذات والأفراد في القرن 18، فظهرت الليبرالية في السياسة والاقتصاد، فكان الفلاسفة الفرديون يقاومون كل محاولة للاعتداء على القيم الفردية، وفي القرن 19 استخدمت الأفكار الفردية بشكل واسع وخاصة مع انتشار أفكار سان سيمون، ومن أشهر ممثلي الفردانية الفرنسية المعاصرة جوستاف لوبون. في حين في ألمانيا نجد أن فلسفتهم بالنزعة الكلية والشمولية، فبرز اسم فيلسوف هو سترنر وهو اسم مستعار لوهيان كاسبار شميث الذي وجه نقداً لفلسفة هيغل وفيروباخ، ويرى أن ما اكتسبه الإنسان من هذه الفلسفات هو خسران الذات، واستلاب جديد هو ذوبان الذات في نسق الدولة، فمن هنا يجب على الأنا أن تعرف حق المعرفة أنها القوة

الوحيدة، فالفرد موجود لذاته وبذاته لهذا يجب أن يتحرر من بوتقة الرسالة التي ترميها المجتمعات والدولة على عاتقه (التركيب، د.ت: 42).

أما الفردانية الليبرالية في أمريكا: غزت الفردانية أمريكا من خلال كتابات متنوعة، عبر أفكار سان سيمون وتحت التأثير المتتابع للتطهريه والبروتستانتية الانجليزية، وتحت تأثير أفكار والت وايمان واكتسب المصطلح تأثيراً من خلال شعار الحرية الاقتصادية، وتتضمن الفردانية حب المغامرة والاعتزاز بالحرية الشخصية وهذا ما يعد سمة خاصة بهم، وتعد البراجماتية امتداداً للفردانية وشكلت أكثر تطور له في أبرز صورة فلسفية.

الفردانية عند برتراند راسل:

أ - المرجعية الفكرية لبرتراند راسل: يصير من الصعب الحديث عن برتراند راسل دون مبالغة، فهو فيلسوف اتسعت كتاباته، وتوعدت كتابته بصورة لا نجد لها مثل عند أي فيلسوف معاصر فقد كتب في الرياضيات والمنطق والسياسة والمجتمع والأخلاق، وباختصار، فإنه لم يترك مجالاً من مجالات التي يهتم بها فلاسفة العصر إلا وعلق عليها، وعلى ذلك لم يكن راسل فيلسوفاً فحسب، بل كان رياضياً، ومفكراً وسياسياً وأديباً، ورجل تربية ورجل إصلاح اجتماعي، وعلى وجه يعيد إلى الأذهان صورة المفكر الجماهيري يقول راسل: الفلاسفة نتائج وأسباب في آن معاً، وهم نتائج للظروف الاجتماعية، ولما يسود عصورهم من سياسة ونظم اجتماعية، وهم كذلك أسباب، إن أسعفهم الحظ، لما يسود العصور التالية من عقائد تشكل السياسة والنظم الاجتماعية (راسل، 1977: 9)، وكما نجد قولاً كتبه كارل ماركس: "لا يخرج الفلاسفة من الأرض كما تخرج النباتات الفطرية،

وإنما هم ثمار عصورهم وشعوبهم، وهم العصاراة الأرفع شأناً والأثمن والأبعد أن ترى، والمعبرة عن نفسها بالأفكار الفلسفية، وأن الروح التي تبني الأنظمة الفلسفية بعقول الفلاسفة، هي نفسها الروح التي تبني السكة الحديدية بأيدي العمال، فليست الفلسفة خارج العالم..".

ومن هذين القولين يعتبر الفيلسوف ابن بيئته حيث ولد راسل بالقرب من تريليك بويلز، شمال تشيبيستو، واسمه الكامل برتراند آرثر وليم راسل ولد بتاريخ (28 ماي 1872)، لأسرة عريقة ونبيلة في بريطانيا، ولعبت دورا هاما في تاريخ إنجلترا السياسي منذ أوائل القرن السادس عشرة، وهو فيلسوف وعالم رياضيات بريطاني، يعد من أشهر فلاسفة القرن العشرين، كما وُصِف بأنه أهم علماء المنطق الذين ظهروا منذ عصر الفيلسوف الإغريقي أرسطو أعظم إسهاماته في المنطق الصوري ونظرية المعرفة، وإن كان تأثيره يتجاوز هذين المجالين؛ إذ طوّر أسلوباً نثرياً يتسم بدرجة مدهشة من الوضوح وسرعة البديهة وجيشان العاطفة، وحصل على جائزة نوبل للأدب عام (1950م)، وفي عام (1931م) ورث لدى وفاة أخيه الأكبر لقب العائلة، أصبح راسل شخصية مؤثرة ومثيرة للجدل في القضايا الاجتماعية والسياسية والتعليمية، وكان مباشراً في دعوته للسلام ودعا لانتهاج مواقف ليبرالية إزاء الزواج ووسائل التعليم، وكان من منتقدي الحرب العالمية الأولى (1918/1914) سجن عام (1918) بسبب تصريحات ضارة بالعلاقات البريطانية الأمريكية، ثم دخل السجن مرة أخرى عام (1961) بسبب التحريض على العصيان المدني في حملة تطالب بنزع السلاح النووي، قدم راسل أعظم إسهاماته للفلسفة والرياضيات في

مطلع القرن العشرين، وأراد أن يستمد جميع الرياضيات من المنطق وبذلك أرساها على أساس متين.

ب - التفكير الحر: لقد أورد راسل في كتابه "ما الذي أومن به" ضرورة تعزيز الفردية من خلال التفكير الحر كغاية سامية حققت مكاسبها وحرية الفرد، ولكن هذا لم يمنعها من بعض الخسائر التي قد تختلف عن القديمة تهدد نوعي الحرية، لم يكن لدينا وعي بضرورة الدفاع عنهما، حيث حاول راسل تحديد تعريف للتفكير الحر بحيث لا يكون تعريفاً ضيقاً: بمعنى التفكير الذي لا يقبل بدوغمات الدين التقليدي، الإنسان مفكر حر إذا لم يدن بأي معتقد (عقيدة متوارثة)، فيرى في الأديان أنها منعت التفكير الحر بمعناه الأوسع، محاولة منه لتحديد مفهوم حر "من أن يكون شيء ما أو أحد ما حر حينما لا يكون خاضعاً لإكراه" (راسل3، 2015: 154)، ولكي يكون الفكر حراً لا بد من شرط أول، يجب غياب العقوبات القانونية المتعلقة بالتعبير عن الرأي وهذا ما لم تبلغه أي دولة عظمى (اليابان أو أمريكا أو دول أوروبا..)، فيكون التفكير حراً إذا سُمح لم يعتق آراءً معينة أن يمارس مهنة يعتاش منها، وأهم عائقين في العالم الحديث هما العائق الاقتصادي وتحريف الأدلة وهما موجودان في جميع الدول باستثناء الصين.

يرى راسل أن التفكير يكون حراً عندما تناقش مختلف الآراء بحرية، وحين يستطيع الجميع عرض قضاياهم دون أن يتم فرض العقوبات المالية والاقتصادية، وهذه حالة مثالية لا يمكن تحقيقها، حيث يورد راسل ثلاثة حوادث في حياته ببريطانيا الأولى كانت في طفولته حين أوصى أبوه بتثنيته تنشأة دون خرفات ولكن المحكمة

أوصت بنتشنته وفقاً للدين المسيحي، ثم الثانية حين ترشحه للبرلمان وقوله بأنه لا أدري رغم خطاباته الليبرالية لأن الحزب رفض ترشحه وعين آخر مكانه لإيمانه بالمسيحية، والثالثة حين دعوته لجامعة كامبرج كمحاضر ولكن نظراً لموقفه من الحرب ألغيت دعوته (هنا إشارة لسجنه بسبب الحرب وموقفه منها) (راسل3، 2015:ص158).

فكل من يحاول عرض أفكاره يتعرض للأذى وقد لا يحظى بفرصة حتى لعرض أفكاره، فيرى أن وليم جيمس بشر (بإرادة الاعتقاد) وهو يبشر بحرية الشك، كل معتقدتنا غير صحيحة، كل منها فيه بعض الغموض، ولنزيد من درجة صحة معتقداتنا لا بد: "من الانصات لكل الأطراف، ومحاولة التحقق من الوقائع ذات الصلة والسيطرة على انحيازاتنا بالنقاش مع من يحملون آراء مختلفة، وتطوير الاستعداد لتخلي عن أي فرضية ثبت خطأها وتمارس هذه الطرق بالعلوم" (راسل3، 2015: 160).

فهو يرى أنه طالما البشر يحملون ايماناً متعصباً بأهمية السياسة يستحيل التفكير الحر، وهناك خطر من انتقال غياب الحرية لكل المجالات، وأن مشكلة مسؤولي التعليم في كيفية نقل المعلومات بدلا من نقل الذكاء، فغاية التعليم نقل المعلومات ثم ثانياً خلق عادات فكرية تساعد على تحصيل المعارف وبالتالي اصدار الأحكام بأنفسهم.

يعتبر راسل أن مبدأ الديمقراطية الليبرالية ألهم مؤسس الدستور الأمريكي أن المواضيع الخلافية تقرر بالحوار وليس بالقوة، وأن الليبراليين يرون أن الآراء تتشكل وفقاً للحوار الحر وليس بالإدلاء برأي واحد، وعكسه ما أخذت به الحكومات الاستبدادية، مما جعله

يتبنى الرأي الليبرالي: "بالنسبة إليّ، لا أجد أي سبب كي أتخلي عن التقليد الليبرالي في هذه المسألة، إذا كنت أملك السلطة فلا يجب أن أمتنع الناس من أن تستمع لخصومي، يجب أن أسعى كي تحصل جميع الآراء على وسائل متساوية وأن أترك النتيجة لما ينتج عن النقاش والحوار" (راسل، 3، 2015: 183/182)، فالليبراليون يعتقدون أن كل الأسئلة مفتوحة للحوار وأن كل الآراء تخضع للشك عكس غيرهم الذين يتعصبون لرأي ما ولا يجب مناقشتها ولا يجوز الاستماع لرأي معارض لها، فهو يرى ضرورة الحفاظ على الحرية مهما كان شكل الحكومة القائمة، ويتطلب الحفاظ على الحرية وجود جماعات من الناس تملك استقلالاً محدوداً بدرجة ما عن الدولة ومن الأهمية بمكان أن تكون الجماعة ضمن هذه الجماعات حين قرر القاضي ماك غيهن أن راسل غير مناسب لمنصب بروفيسور بالجامعة نيويورك سيتي مما جعله ينادي بالحرية الأكاديمية (راسل، 3، 2015: 186/179).

ج - دور الفردية: يرى راسل أن التقدم سواء الفني أو الخلفي أو العلمي على الفرد سيكون عاملاً حاسماً في الانتقال من البربرية إلى المدنية، وأنه كان على العلماء كغيرهم من المبدعين البحث عن الشهرة، فبعضهم شُرد والآخر قتل والبعض أحرقت كتبه، مما يؤكد أنهم وضعوا قوة بين يدي الدولة حيث أن لافوزييه قُتل بالمقصلة ولكن أصدقاءه استخدموا في المتفجرات، فالعلماء هم مواطنون ذوو فائدة في الحرب، فعظماء التاريخ بعضهم أختار الجنس البشري وبعضهم على النقيض تماماً، فالمبدعون الدينيون والأخلاقيون بذلوا ما بوسعهم للتخفيف من قساوات كل نحو الآخر، ومنهم رجال العلم قدموا تعديلاً وفهماً للحوادث الطبيعية...، والفنانون الذين زينوا العالم

بروائعهم، وهناك فئة على النقيض من ذلك تسبب المآسي (جنكيزخان، لينين ..)، فكل هؤلاء سواء الطيبون أو الأشرار "صفة القوة وصفة استقلال العقل وسعة الخيال، وهذا ما يجعل الفرد كفاء لأن يفعل الخير الكثير أو الشر الكثير ويوده "راسل" هو أن يجد هؤلاء مجالاً لمنفعة الجنس البشري" (راسل، 4، 1961: 73)، فالإنسان الذي يطمح أن يؤثر في الأمور الإنسانية قد ينجح في ذلك إما كطاغية أو كعبد: مثلاً كسياسي أما على رأس السلطة أو عالم يسوغ لها الأفكار يخدم أغراضها لا أغراضه، وهذا ينطبق على العظماء من أصحاب المواهب كالشعراء سواء كباراً أو صغاراً وكذا الأنبياء، والموسقيون، فهذه الحرية الفردية مهمة جداً وسيكون للمنافسة دور كبير في ذلك مثلاً في ازدهار المدن والكتدرائيات، ولكي ننعم بحياة طيبة لا بد لنا من دوافع خلاقية، وأن نحتفظ بوسائل تساعد على التمتع بالمبادرات الفردية ليس في الأمور الهينة بل حتى في الأمور الايجابية (راسل، 4، 1961: 80)، مما يجعل للدوافع سواء الخيرة أو الشريرة دور كبير في المجتمعات وحياة الأفراد.

د - الأخلاقية الفردية والأخلاقية الجماعية: فالتقدم يتطلب

أوسع مجال للمبادرة الشخصية المتسقة مع النظام العام، ويتناول راسل الأخلاقية الفردية من حيث موقفها من المؤسسات الاجتماعية والسياسية، ليس من إنسان حر كلياً أو عبداً كلياً، فيحتاج الإنسان بمقدار ما أن تكون له حرية وأخلاقاً شخصية توجه سلوكه، ولكن ليس معنى ذلك أن لا يطيع الفرد الدستور الأخلاقي للمجتمع، فالجميع يستتكر أكل لحم البشر وقنص الرؤوس...، باسم العرف الأخلاقي والعادات الخلقية، لذا عليه "إذا كان يرغب في أن يعيش أفضل حياة

وجب عليه أن يتعلم أن ينظر نظرة الناقد إلى العادات والمعتقدات التي تسود بين جيرانه" (راسل4، 1961: 132)، وعليه يجب التمييز بين سلطة القانون والعادات، فاحترام القانون أمر ضروري لوجود أي نظام اجتماعي يمكن تحمله، عندما يرى الفرد أن القانون فاسد فله الحق، ويجب عليه أن يغيره ولكن لا يكون له حق الخروج عليه إلا في حالات نادرة، ولكن لا ينكر راسل وجود حالات من العصيان القانوني تكون واجبة، وهذا عندما تكون طاعة القانون خطيئة، "وقد تكون الثورة واجبة عندما تحترم القانون ولا تؤدي إلى الفوضى ضد الحكومات الفاسدة مما يجعل ضرورة اسقاطها بالقوة، ثورة إنجلترا 1688، وثورة أمريكا 1866، قام بها رجال مشربين تشرباً عميقاً باحترام القانون" (راسل4، 1961: 134).

لقد كان للعقائد الأخلاقية مصدران: أحدهما سياسي والثاني ديني وشخصي، فبدون الأخلاق المدنية تزول المجتمعات وبدون الأخلاق الشخصية لا يكون لذاتها وجود، فإن الأخلاق المدنية والشخصية ضروريتان لعالم صالح، كما أن تأدية الواجب الاجتماعي ليست كل ما نحتاجه لخلق حي حسن بل هناك التفاضل الشخصي، رغم أن الإنسان اجتماعي ولكن ليس معنى ذلك أنه ليس له أفكار ومشاعر حسنة ووضيعة ودوافع حكيمة وخرقاء مملوءة بالمحبة والبغضاء ولكي تكون حياته محتملة لا بد من مجال أفضل لهذه الأفكار والمشاعر والدوافع "كل الرؤساء الدينيين، وكذلك عظماء الفنانين قد أبدوا نوعاً من الالتزام الأخلاقي ليحققوا دوافعهم الخلاقة، ونوعاً من الغبطة الأخلاقية إذا فعلوا ذلك، وهذا الانفعال ما تدعوا إليه الأناجيل الواجب نحو الله" (راسل4، 1961: 136)، وعليه فإن مجال العمل الفردي يجب أن

لا يعتبر أقللاً أخلاقياً من مجال الواجب الاجتماعي، فهناك بعض أفضل النشاطات البشرية شخصية أكثر منها اجتماعية فالأنبياء والعلماء والصوفيون والفنانون يتحكم في حياتهم الإلهام وهم أناس متفردون، وهم مضطهدون في زمانهم، ولكن كرمتهم الجيل اللاحقة وقدموا أفضل الأشياء تحمل حس الالتزام الاجتماعي.

خاتمة:

يعتبر الفرد هو الخامة الأولى للوجود الإنساني وهو الكائن الوحيد الذي يمتلك قدرات وامكانيات كامنة فيه، وتعني الفردية السمات الخاصة التي تميز كل فرد عن غيره ولا يمكن أن تتكرر عند الآخرين.

ومنه أعلنت الفلسفة تمرداً على الفلسفات الموضوعية لتعلن حقيقة الوجود الإنساني وأهميته وأن الفلسفة تتمحور منه وحوله، وأنه مركز الكون ومقياس الأشياء كما أعلن ذلك بروتاغوراس. لقد وجد مفهوم الفردانية في مراحل لاحقة داخل حقل الرعاية الفلسفية الأوربية مع هوبز ولوك والرعاية الأمريكية مع آدم سميث باعتبارهم طلائعيين في تناول مفهوم الفردانية بالدراسة والتحليل، وأنهم في أطروحاتهم كانوا ينظرون إلى الإنسان في دائرة تفردته ويقابلون بينه وبين الدولة.

إن اعتناقنا من الخضوع للطبيعة الخاجية جعل امكانية تحقيق مستوى أعلى من التقدم والرخاء أكثر مما سبق، ولتحقيق ذلك لا بد من حرية المبادرة الفردية في كل المجالات دون إلحاق الضرر بالآخرين، فتشجيع هذه المبادرات تغني وتخصب الجنس البشري فمحاولة اخضاع البشر واذلالهم لن تخلق عالماً صالحاً بل بتشجيعهم بأن يكونوا مغامرين وجريئين، فعلياً تعلم السيطرة على الدوافع التي بداخلنا

خاصة الشريرة لكي لا نلحق الضرر بأبناء البشر أمثالنا، فبمثل دوافع الشر ليست دوافع الخير بأقل منها، وضبط النفس شعار الأخلاقيين، رغم أنه كان بالقديم ضبط بدون فهم، فبالفهم نستطيع تحقيق آمالنا التي وضعناها مهارتنا الفردية بين أيدينا.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1 -أبو الريان محمد علي. (1985). تاريخ الفكر الفلسفي (من طاليس إلى أفلاطون). مصر: دار المعرفة الجامعية.
- 2 -أفلاطون. (د.ت). الجمهورية، الكتاب السادس، تر: فؤاد زكريا. القاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف والنشر.
- 3 -برتراند راسل 1. (ديسمبر 1983). حكمة الغرب (ج 2) الفلسفة الحديثة والمعاصرة. (تر: فؤاد زكريا، المترجمون) الكويت: سلسلة عالم المعارف.
- 4 -برتراند راسل 2. (1977). تاريخ الفلسفة الغربية. (تر: محمد فتحي الشنيطي، المترجمون) القاهرة: المصرية العامة للكتاب، د.ط.
- 5 -برتراند راسل 3. (2015). ما الذي أومن به (مقالات في الحرية والدين والعقلانية). (عدي الزعبي، المترجمون) سوريا: دار عدوان ممدوح للنشر والتوزيع، ط1
- 6 -برتراند راسل 4. (1961). السلطة والفرد. (تر: شاهر حمود، المترجمون) بيروت: دار الطليعة، ط 1.
- 7 -البستاني عبد الله. (1990). الواجب معجم وسيط اللغة العربية. مكتبة بيروت، طبعة جديدة.
- 8 -التريكي فتحي. (د.ت). الفلسفة الشريفة. بيروت: دار الإنماء القومي.
- 9 -تيليش بول. (1987). الشجاعة من أجل الوجود. (كامل يوسف حسين، المترجمون) بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط2.
- 10 -الجوهاري سمير، وعجيلات عبد الباقي. (2011). الأسرة ودورها في وقاية أبنائها من الانحراف الفكري. مجلة الحقوق والعلوم الانسانية، ص: 225.

- 11 - الحبابي محمد العزیز. (د.ت). الشخصانية الإسلامية . مصر: دار المعارف، ط2.
- 12 - دومون لويس. (2006). مقالات في الفردانية. (بدر الدين العردوكي، المترجمون) بيروت: مركز الوحدة العربية والمنظمة العربية للترجمة.
- 13 - زكريا ابراهيم. (د.ت). مشكلات فلسفية (مشكلات الإنسان). القاهرة : مكتبة مصر.
- 14 - شوفالييه جون جاك. (1985). تاريخ الفكر السياسي (من المدينة الدولة إلى الدولة القومية). (محمد عرب صاصيلا، المترجمون) بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط1.
- 15 - صليبا جميل. (1982). المعجم الفلسفي باللغة العربية والانجليزية واللاتينية. بيروت: مجمع اللغة العربية بدمشق.
- 16 - العدوي عبد الفتاح حسين. (1969). الديمقراطية وفكرة الدولة. القاهرة: سلسلة الألف كتاب ومؤسسة سجل العرب.
- 17 - قاسم محمود. (1974). الإنسان في مذهب محي الدين ابن عربي، دراسات فلسفية بإشراف عثمان أمين. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب
- 18 - كامل فؤاد. (1991). فلسفة الفرد في فكر شوبنهاور. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 19 - كانط ايمانويل. (1965). تأسيس الميتافيزيقا. (عبد الغفار مكاوي، المترجمون) القاهرة: الدار القومية للنشر والتوزيع.
- 20 - لالاند أندري. ((دت)). الموسوعة الفلسفية. (ترجمة ، خليل أحمد خليل، المترجمون) بيروت: دار النشر عويرات بيروت المجلد الثاني، دط.
- 21 - المعطي محمد علي عيد. (1997). الفكر السياسي الغربي. مصر: دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.
- 22 - منار منصور أحمد منصور. (2018). تقييم دور الجامعة في تحقيق الأمن الفكري لطلابها من وجهة نظرهم وأعضاء هيئة التدريس. مجلة كلية التربية ، ص: 602.

- 23 -ابن منظور. لسان العرب، طبعة جديدة .مصر: دار المعارف ، الجزء5، (مادة الفرد).
- 24 -نصار محمد عبدالله. (1987). فلسفة راسل السياسية. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب
- 25 -وهبة مراد. (1979). المعجم الفلسفي. القاهرة: دار الثقافة الجديدة، ط3.
- 26 -يحياوي نجاة. (2018). دور الأسرة في تحقيق الأمن الفكري للأبناء. مجلة التغيير الاجتماعي والعلاقات العامة في الجزائر ، ص: 115.
- 27 -يونغ كارل. (1997). جدلية الأنا واللاوعي. (تر: نبيل محسن ، ، المترجمون) سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1.

